

يمكنك سماع صوت الله

بقلم د. مارك فيركلر
ترجمة د. فيكتور تادرس

لقد ارتبط العصر الذي نعيش فيه ارتباطاً وثيقاً بالعقلانية والإدراك الحسي والفكر التحليلي إلى درجة تجعلنا نسخر من أي شخص يدّعي أنه يستطيع سماع صوت الله. إلا أن هذا الأمر ليس مجالاً للسخرية لعدة أسباب. أولاً، لأن العديد من الرجال والنساء في الكتاب المقدس بطوله وعرضه قد سمعوا بالفعل صوت الله. كما أن هناك أيضاً الكثير من الرجال والنساء المحترمين في عصرنا هذا يشهدون أنهم سمعوا صوت الله. وأخيراً، فهناك جوع شديد بداخلنا جميعاً للتواصل مع الله وسماع صوته في قلوبنا.

وقد صارت كثيراً لعدة سنوات، كمؤمن مولود ثانية يثق بكلمة الله، لكي أتمكن من سماع صوت الله دون جدوى. صليت كثيراً بأصوام وتضرعات، عكفت على دراسة الكلمة، وأخذت أبحث عن صوت بداخلي لكنني لم أفجح. لم يكن هناك أي صوت داخلي يمكن أن أسمعه! ثم عزلني الله لمدة عام كامل للدراسة والقراءة واستكشاف المجال الذي يمكنني أن أتعلم فيه كيف أسمع صوت الله. وقد علمني الله خلال هذه المدة أربعة مفاتيح للتواصل مع الله عن طريق الحديث المتبادل في الصلاة. واكتشفت أن هذه الطريقة مجدية وفعالة ليس فقط بالنسبة لي بل أيضاً بالنسبة إلى آلاف من المؤمنين الذين تعلموا أسلوب الحديث المتبادل مع الله. فقد ازدادوا قرباً من الله واختبروا درجة أعلى في علاقتهم الشخصية معه، الأمر الذي أحدث تغييراً كبيراً في أسلوب حياتهم. وسيحدث نفس الأمر معك أنت أيضاً وأنت تطلب الرب مستخدماً المفاتيح الأربعة التالية. نجدها كلها في حبقوق 2: 1، 2. وأنا أشجعك على قراءة تلك الفقرة الكتابية قبل المضي قدماً في قراءة هذا المقال.

المفتاح الأول – إن صوت الله في قلوبنا هو عبارة عن تيار من الأفكار التلقائية. لذلك عندما أضبط جهاز الاستقبال على الموجة الإلهية، أكون بذلك مضبوطاً على التلقائية.

يقول الكتاب المقدس "فأجابني الرب وقال... (حبقوق 2: 2). لقد عرف حبقوق نعمة صوت الله. ويصف إيليا صوت الله بأنه صوت هادئ رقيق "صوت منخفض خفيف" (الملوك 19: 12). كنت دائماً أصغي باحثاً عن صوت داخلي "مسموع"، وقطعاً يستطيع الله أن يتحدث بهذه الطريقة، وهو يفعل ذلك في بعض الأوقات. إلا أنني قد اكتشفت أن صوت الله يأتي إلى معظمنا في أغلب الأوقات في شكل تيار داخلي من أفكار تلقائية، ورؤى، وأحاسيس، وانطباعات. فعلي سبيل المثال، ألم يختبر كل منا وهو يقود سيارته أن فقزت فجأة فكرة في الذهن وإلحاح قوي لكي يصلي من أجل شخص معين؟ ونحن نقر ونعترف عموماً بأن هذا هو صوت الله يدعونا لكي نصلي من أجل هذا الشخص. وسؤالي لك الآن هو: "كيف تصف صوت الله الذي سمعته وأنت تقود سيارتك؟ هل كان صوتاً داخلياً مسموعاً، أم كان فكرة تلقائية لمعت فجأة في ذهنك؟" الأغلبية يقولون أن صوت الله يأتي إليهم في شكل فكر تلقائي.

فقلت لنفسي: "عندما أحاول سماع صوت الله، ربما يتعين عليّ أن أصغي إلى تيار من الأفكار والخواطر التلقائية. ربما يتم استقبال الإرسال الروحي عن طريق الأفكار التلقائية، والانطباعات، والأحاسيس، والرؤى." وبعد تجارب عديدة وتلقي آلاف الرسائل والخطابات في هذا الشأن، بدأت أتيقن من صحة هذا الأمر.

ويؤكد ذلك الكتاب المقدس بطرق عديدة. إن تعريف الكلمة العبرية "باجا" (التشفع) هو "لقاء عرضي أو مقابلة عفوية". عندما يضع الله أناسا على قلوبنا لنصلي ونتشفع من أجلهم، يفعل ذلك عن طريق الـ "باجا"، أي أنه يضع فكرة تلقائية في الذهن أو خاطر يخترق تيار الفكر العادي. لذلك عندما أضبط جهاز الاستقبال على الموجة الإلهية، أكون بذلك مضبوطا على الخواطر العرضية والأفكار التلقائية. وعندما أهدأ وأسكن قلبي أمام الله في الصلاة، أجد أن تيار الفكر التلقائي الذي ينساب بداخلي يأتي قطعاً من الله.

المفتاح الثاني – يجب أن أتعلم كيف أهدأ وأسكن أفكارى ومشاعري حتى أستطيع التلامس مع تيار الفكر الإلهي والمشاعر الإلهية التي يطلقها الروح القدس بداخلي.

قال حبقوق: "على مرصدي أقف وعلى الحصن أنتصب... (حبقوق 2: 1). لقد علم حبقوق أنه لكي يسمع صوت الله الهادئ الخفيف، ويستقبل تيار الفكر الإلهي الذي ينساب تلقائياً في أعماق النفس، يجب أن يذهب أولاً إلى مكان هادئ ويسكن أفكاره الشخصية ومشاعره. يشجعنا مزمو 46: 10 أن نكف (نهدأ) ونعلم أنه الله. فهناك تيار عميق (ينساب بتلقائية) في أرواحنا يمكن أن نختره بصفة شخصية عندما نهدأ ونسكن ضجيج متطلبات الجسد و السيل العارم للأفكار الذاتية النابعة من الذهن البشري.

لقد وجدت بعض الطرق البسيطة لأسكن نفسي حتى أكون أكثر استعداداً للاستقبال التلقائي لتيار الفكر الإلهي. أحد الطرق الفعالة بالنسبة لي هو أن أعبر عن محبتي لله عن طريق ترنيمة تعبدية هادئة (كما في ملوك الثاني 3: 15). فعندما أهدأ (فكراً، وإرادة، ومشاعر) وأربض أمام الله، ينساب التيار الإلهي في أعماق نفسي. لذلك، فبعدما أتعبد في هدوء ثم ألزم الصمت، أكون منفتحاً لهذا التيار الإلهي المتدفق. وعندما تقاطعني أفكار عن واجبات قد نسيت القيام بها، فإني أدونها على بطاقة للتذكرة، ثم أتركها جانبا. وإذا داهمتني أفكار إدانة أو شعور بالذنب أو بعدم الاستحقاق، فإني أتوب من كل القلب، وأقبل أن يغتسل ذهني وقلبي بدم الحمل، وأرتدي رداء البر الذي يقدمه مجاناً بالفداء، وأرى نفسي بلا عيب أمام حضرة الله (إشعياء 61: 10؛ كولوسي 1: 22).

وعندما أثبتت نظري على يسوع (عبرانيين 12: 2) وأسكن هادئاً في محضره، وأشارك معه عما يدور بخدي وما يعتمل في قلبي، أجد أن هناك تياراً دافقاً من الحديث المتبادل بيني وبين الله. تتساب الأفكار التلقائية من عرش الله وتتخلل حنايا نفسي وطيات كياني، وأجد نفسي أتحدث فعلاً مع ملك الملوك.

من المهم جداً أن تكون في حالة من السكون والتركيز الصحيح حتى تستقبل التيار الصافي من كلمة الله. إذا لم تكن ساكناً، فستستقبل أفكارك الذاتية. إذا لم يكن لديك التركيز الجيد على شخص المسيح، ستنلقى تياراً مشوشاً مضطرباً؛ فتتأثر الإدراك الحدسي ينبع من موضع تركيزك ومن الهدف الذي تثبت عينيك عليه. لذلك، فإنك لو تثبتت عينيك على يسوع، سيأتي تيار الإدراك الحدسي المباشر من يسوع. أما إذا تثبتت عينيك على ذهنك على بعض رغبات قلبك، سيأتي تيار الإدراك الحدسي نابعاً من تلك الرغبة التي تملك على قلبك وتسيطر على ذهنك. يجب أولاً أن تبقى هادئاً، إذا كنت تريد تياراً صافياً؛ ثانياً عليك أن تثبت عينيك بإمعان على يسوع. وأكرر القول، قدم السجود والعبادة الهادئة لملك الملوك، ثم بعد ذلك يمكنك من خلال الهدوء والسكون أن تحقق التلامس الحقيقي مع الله.

المفتاح الثالث – وأنا أصلي، أركز عيني قلبي على يسوع، وأرى في الروح الأحلام والرؤى الآتية من الله.

لقد سبق وأشرنا إلى هذا المبدأ في الفقرة السابقة؛ إلا أننا لازلنا نحتاج إلى المزيد من إلقاء الضوء على هذا الموضوع الهام. قال حبقوق: "وأراقب لأرى" (وأستمر أراقب لأرى)، وقال الله: "اكتب الرؤيا" (حبقوق 2: 1، 2). والجدير بالذكر أن حبقوق كان سيشرح بالفعل في البحث عن الرؤيا عن طريق الاستمرار في المراقبة وهو يصلي. كان على وشك أن يفتح عيني قلبه وذهنه ويرى في العالم الروحي ما أراد الله أن يكشف له. وهذا أمر مدهش للغاية.

لم أفكر أبدا في انفتاح أعين الذهن والقلب للبحث عن الرؤيا. إلا أنني كلما فكرت في هذا الموضوع، كلما زاد إدراكي واقتناعي أن هذا هو بالضبط ما يريد الله أن يعمله معي. لقد أعطاني عيونا لذهني، لكي استخدمها في العالم الروحي لأرى الرؤى والتحركات الإلهية العجيبة. فإني أؤمن أن هناك عالما روحيا نشطا يتحرك من حولي، عالما مليئا بالملائكة، والشياطين، والروح القدس، والله الأب كلّي الحضور، والله الإبن، يسوع المسيح، كلّي الحضور. ولا يوجد سبب يمنعني من أن أرى هذا العالم سوى خلفيتي الثقافية التي تحرضني ألا أؤمن حتى بوجوده، ولا تقدم أي تعليم يتعلق بكيفية الانفتاح لرؤية العالم الروحي.

إن أهم المتطلبات الأساسية وأبرزها للرؤية هي أننا نحتاج أن نتطلع وننظر. كان دانيال يرى رؤية في ذهنه وقال: "كنت أرى... وبعد هذا كنت أرى... كنت أنظر... كنت أرى" (دانيال 7: 2، 9، 13). والآن، وبينما أنا أصلي، أبحث عن يسوع لكي أراه حاضرا معي، وأظنه وهو يتكلم معي، يخبرني بما في قلبه من أمور يريد أن يعملها في حياتي. وسجد الكثير من المسيحيين أن كل ما عليهم أن يفعلوه هو فقط أن ينظروا، عندئذ سيرون. يسوع هو عمانوئيل، الله معنا (متى 1: 23). فالأمر في غاية البساطة، فهم سيجدون صوتا داخليا تلقائيا بنفس الطريقة التي يتلقون بها الأفكار الداخلية التلقائية. يمكنك أن ترى المسيح حاضرا معك في جلسة مريحة، لأن شخص المسيح حاضر معك في جلسة مريحة فعلا. بل أنك ستكتشف أن الرؤية الداخلية تأتي بطريقة بسيطة للدرجة التي تجعلك تميل إلى رفضها والتشكك في صحتها واعتبارها شيئا نابعا من ذاتك. (الشك هو أقوى سلاح فعال في يد الشيطان ضد الكنيسة). إلا أنك إذا تابرت وكانت لديك العزيمة لكي تسجل هذه الرؤى، سرعان ما سيتبدد الشك الذي يساورك وينتصر الإيمان عندما تدرك أن محتوى هذه الرؤى لا يمكن أن ينبع إلا من الرب القدير ذاته.

ولطالما أعلن الله عن نفسه لشعب عهده مستخدما الأحلام والرؤى. فعل الله ذلك من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا. وقد أعلن الله أنه بانسكاب الروح القدس في الأصحاب الثاني من سفر أعمال الرسل، علينا أن نتوقع استقبال تيار متدفق باستمرار من الأحلام والرؤى (أعمال 2: 1-4، 7). ونرى هذه القدرة تتجلى في مثلنا الكامل يسوع المسيح الذي عاش في اتصال مستمر وتواصل دائم مع الله القدير. وقد قال أنه لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الأب يعمل، وما يسمع الأب يقول (يوحنا 5: 19، 20، 30). يالها من طريقة رائعة للحياة!

هل من الممكن لنا حقا أن نحيا ونتحرك بالقوة الصادرة من الله كما فعل المسيح؟ إن أحد الأهداف الرئيسية لموت المسيح وقيامته أن ينشق الحجاب من أعلى إلى أسفل معطيا إيانا فرصة الدخول إلى محضر الله، حيث يأمرنا الله بالاقتراب إليه (لوقا 23: 45؛ عبرانيين 10: 19-22). لذلك، حتى لو بدا ما أشرحه غريبا بعض الشيء بالنسبة لثقافة القرن العشرين العقلانية، فهو أمر محوري وجوهري حسب تعليم الكتاب المقدس وما يعلنه من حقائق اختبارية. لقد حان الوقت لكي تستعيد الكنيسة كل ممتلكاتها.

وهناك الكثير من ذوي الفكر العقلاني البحث الذين يعيشون في ثقافة نغالي في الاعتماد على المنطق البشري. لذلك فهم يحتاجون إلى المزيد من المساعدة والفهم لإدراك تلك الحقائق قبل أن يتمكنوا من استيعابها وتبنيها. وسيجدون هذا العون في كتاب "الشركة مع الله" لنفس الكاتب.

المفتاح الرابع – التدوين، أي كتابة طلباتنا التي نرفعها في الصلاة واستجابات الله لنا. وهذا يفتح المجال أمامنا لاختبار مستوى جديد من الحرية والإنطلاق لسماع صوت الله.

أمر الرب حبوق أن يسجل الرؤية وينقشها على ألواح... (حبوق 2: 2). لم يخطر ببالي أبدا أن أكتب صلواتي واستجابات الله لي كما فعل حبوق بناءً على أمر الرب. إذا بدأت تقتش في الكلمة المقدسة بحثاً عن هذا المبدأ، فستجد مئات من الفقرات الكتابية التي تتناوله وتؤكد (مثل المزامير، وكتابات الأنبياء، وسفر الرؤيا). لماذا إذا لم أفكر في هذا الأمر من قبل؟

وقد أطلقت على هذه العملية مرحلة "التدوين"، وبدأت استكشف هذا الأمر بالبحث والتجريب. واكتشفت أنه من العوامل الرائعة التي تسهل تمييز صوت الله بوضوح عندما ينساب تلقائياً في أعماق الروح. فعندما بدأت مرحلة التدوين، كنت أكتب بإيمان لمدة طويلة، واثقا ببساطة أن الرؤيا من الله. لم يكن بمقدوري أن أمتحنها وأنا أتلقاها (فالتحليل يعطل الاستقبال)؛ وكنت واثقا أنه عندما تنتهي مرحلة استقبال الرؤيا، يمكن أن أعود وأمتحن كل إعلان وأفحصه بكل دقة لكي أتأكد أنه متوافقاً مع تعاليم الكتاب المقدس.

ستندهش عندما تبدأ مرحلة التدوين. ربما يعوقك الشك في بادئ الأمر. تخلص منه بسرعة، وذكّر نفسك أن التدوين مبدأ كتابي، وأن الله حاضر مع شعبه ويتحدث إليهم. لا تتعنت مع نفسك وتتعامل مع الأمر بطريقة معقدة تجعلك متوتراً وبالتالي تعوق تحرك الروح القدس في حياتك. فعندما تكف عن محاولاتك البشرية ومجهوداتك الذاتية، وتدخل راحته، عندئذ فقط يتحرك الله بحرية وينساب تيار المعاملات الإلهية (عبرانيين 4: 10). لذلك ضع ابتسامة على وجهك، واجلس مستريحاً ومعك القلم والأوراق التي ستسجل عليها، وركز انتباهك على الله بروح الحمد والتسبيح، طالبا وجهه. وبينما تكتب سؤالك لله وتسكن نفسك أمامه مثبتاً وجهك نحو يسوع الحاضر معك بروحه، ستجد فكرة رائعة قد برزت في ذهنك رداً على سؤالك. لا تشك فيها، بل أكتبها بكل بساطة. بعد ذلك، عندما تعيد قراءة مادونته، ستكتشف أنت أيضاً أنك كنت حقا في تواصل مع الله، الأمر الذي سيفرح قلبك ويملاه سرورا.

ملحوظة ختامية: لا يجب أن يحاول أحد القيام بهذا الأمر قبل قراءة العهد الجديد على الأقل (ويفضل الكتاب المقدس بأكمله) بالإضافة إلى الخضوع لقيادة روحية قوية. فجميع التحركات المبنية على الإرشادات التي يتم استقبالها في مرحلة التدوين يجب أن تفحص من قبل المرشد الروحي قبل البدء في الانقياد بها ووضعها موضع التنفيذ.

للحصول على التعليم الكامل عن هذا الموضوع، يمكنك طلب الدليل الدراسي لسماع صوت الله من موقع الانترنت www.CWGministries.org أو الاتصال بالهاتف رقم 716-652-6990

هناك مجموعة كاملة تضم أكثر من 50 كتاباً من تأليف مارك و باتي فيركلر، بالإضافة إلى 100 مادة دراسية لراغبي الحصول على درجات علمية في اللاهوت. يمكنك أيضاً الإتصال عن طريق البريد الإلكتروني cwg@cwministries.org